النحام ومرادفاته

١° تمهيد

اصعب ما في اللغة العربية تحقيق الالفاظ العلمية ولاسيما ما يتعلق منها بعلم المواليد. فترى الطالب الباحث يخبط في هذا البحث ولا خبط عشواء. ولهذا يحسن بالعلماء ان يحققوا تلك الالفاظ ويتتبعوها تتبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبن عن الرغوة ويعول عليها الكتاب من مؤلفين ومعربين ولا يبقوا سائرين في الوعث فيكابدون من العناء والجهد الامرّين. ومن جملة الالفاظ التي تحتاج الى تحقيق كلمة «نحام» من الطير وها نحن نثبت ما يزيل الشك في هذا الباب فنقول:

٢° النحام في كتب العرب

قال في حياة الحيوان: النحام طائر على خلقة الاوز واحدته نحامة، يكون آحاداً وازواجاً في الطيران واذا اراد المبيت اجتمع رفوقاً، فذكوره تنام واناثه لاتنام وتعد لها مبايت فاذا نفرت من واحد ذهبت الى آخر. اهـ المقصود من ايراده. — وقال داود الانطاكي: النحام: طير دون الاوز، قيل انه شديد الحرارة ينفع المبرودين وهو مجهول. — وقال ابن البيطار: النحام هو من طيور الماء. ابن ماسويه: لحمه من اكرم لحوم الطير وافضلها. . . وفي التاج: النحام كغراب: طائر احمر كالاوز اي على خلقته. قال الجوهري يقال له بالفارسية «سرخ آوي» وهكذا ضبطه الازهري وابن خالويه. وغلطه الجوهري في فتحه وشده وضبطه السهيلي كضبط الجوهري. اهـ — قلنا: الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب او سرخاب ويلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واواً وهي لغة كثيرين من الفرس الاقدمين والمحدثين ومن اسمائه بالفارسية ايضاً «خرچال» كما جاء في «برهان قاطع» — وعلى ذلك يكون النحام هو المسمى بالفرنسوية Flamant او Flammnt وبالانكليزية Flamingo وبلسان العلماء او اللاتينية Phoenicopterus

٣° سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم. وعندنا انه مشتق من النحم او النحيم وهو صوت كالزحير او فوقه، يخرج من هذا الطائر عند الطيران. وفعال بالضم من الصيغ الدالة على الفاعلية وان لم ينبه عليها الغلاة كشجاع وخشاش

(وهو الماضي من الرحال) وقد يزاد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويبقى المعنى على حاله كقولهم : القطامي وهو الصقر . قال الاصمعي : القطامي مأخوذ من القطم وهو الشهوان للحم وغيره . اه وهذا الكلام يدل على ان اللغويين انتبهوا لصيغة فعال او فعالي المبالغة

٤ — تصحيف النحام ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم اياها . ومن اشهر من صحفها احمد فارس الشدياق الشهير فقد قال في كتابه « شرح طبائع الحيوان » ص ٢٨٣ : النحاف (بفاء في الآخر) هذا طائر طويل العنق وفي غاية الحسن الى آخر ما قاله عن الاوز . وقد جاءت بهذه الصورة المصحفة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه « الملحق بالمعاجم العربية » في مادة نحف .

وممن اخطأ في اسمه الاب بلو اليسوعي في معجمه الفرنسوي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريب Flamant : غواص ، طائر طويل الارجل لونه احمر زاهٍ ، نحام . اه . والغواص غير النحام على ما اثبته العرب والعلماء الاقدمون والمحدثون .

ونحن العراقيين نسميه في ديارنا « الغرنوق » وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات . وفي القاموس : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائي اسود وقيل ابيض او الغرنوق او الغرانيق : الكركي او طائر يشبهه . اه ويجب ان تصلح عبارة القاموس هكذا : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائي وهو ما يريد به العراقيون النحام ، والكلمة معربة عن اليونانية Geranos بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى ايضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي Grus balearica وعند اهل المغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي Grus virgo — ومن اسمائه في العربية الشرحب قال السيد المرتضى في التاج في مادة سرحب او شرحب مستدركاً : السرحاب بالكسر ، اهمله الجماعة ، وذكره احمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الاحجار وقال : انه طائر في حجم الاوز (اي انه بكبر جسمه بكبر جسم الاوز وهو امر لا اختلاف فيه لكن لا يراد بذلك انه يعادل الاوز كما يؤخذ من كلام الدكتور امين افندي المعلوف في المقتطف ٣٦ : ٧٧٦) احمر الريش يوجد ببلاد العجم والفرس واهل مصر يسمونه الشنور واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف الحنيا) ويعلقون ريشه في المراكب المزينة . يوجد في عشه حجر قدر البيضة اغبر اللون فيه نكت بيض وهو الخفيف في

غواص لا يزال الطائر في غير اوانه » اهـ نقله . ولم يذكر المؤلف ان اللفظة فارسية الاصل . وهي كذلك وقد وردت في دواوين لغتهم . وهي مركبة من « سرخ » اي احمر . و« آب » اي ماء واظن ان الاصل في هذا الاسم ومعناه : الطائر الاحمر السابح في الماء » ثم اختصروا العبارة فقالوا ما معناهُ : الاحمر الماء . — والظاهر ان الافرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية الى لغتهم لم يهتدوا الى حقيقة هذا الطائر . فقد قال فلرس Vullers في معجمه الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه: Genus avis aquaticoe rubri coloris ومعناه ضرب من الطير المائي احمر اللون . ولم يذكر اسمهُ باللاتينية ثم قال : ويسميه البعض « خرجال » ايضاً . ثم زاد على ما تقدم : Anas casarca اي بط بري . فانت ترى من هذا انهُ لم يعرف ما يقابله عند العلماء . وكذلك لم يعرف حقيقته جنصن في ديوانه الكبير الفارسي العربي الانكليزي . وذكر هناك انه نوع من البط المائي . والبط الاوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية . فهذا القول يوافق وصف العرب النحام اي انهُ في حلقة الاوز . ولم يذكر صاحب التاج البشمور في مظنتها وان كان ذكرها استطراداً في مادة سرخب ولم اعثر عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت اليها يدي .

ومن اسمائه الفارسية ايضاً « ميش مرغ » ايضاً . لكن البعض يقولون ان المسمى بهذا الاسم هو الحبارى . لا النحام . على حد ما اختلف العرب في تعريف الغرنوق .

واما لفظة البشاروش او البشروش فقد وجدتها في كتب متون اللغة الفرنسية التركية منها . معجم و . ويزنطال المطبوع في مطبعة قرهبت في الاستانة في مادة Flamant الا انه ذكرها مصحفة بياء مثناة في الاول بدلاً من الباء الموحدة اي « يشاروش » وهكذا ذكرها ايضاً ش . سامي في معجمه الفرد في التركي . والاصح في كل ذلك البشاروس بباء مثلثة فارسية في الاول وشين او سين في الآخر وهي من اصل فارسي « پشرو » او « پيش رو » اي المقدم او الامام او الماشي امام الكل . وسبب هذه التسمية هو ان هذه الطير اذا سارت في طلب رزقها تولى احدها قيادتها يحفظها من الخطر اذا داهمها وحالما يشعر هذا الولي الامين بمشقة تحصل وان كانت بعيدة يبادر الى الافادة بها بصوت عال كصوت البوق فتهب كلها للطيران حالاً (راجع شرح طبائع الحيوان لاحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣)

وقد صحف التونسيون كلمة بشاروش او بشروش بصورة شبروش وقد نقلها دوزي

في معجمه المذكور وقال ان بوسيه وتريسترام ذكراها عن النحام . قلنا : وكذا نقلها ايضاً البستاني في معجمه الكبير الفرنسوي العربي . فانظر حرسك الله كيف يجيء الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد . وكيف ان للحيوان الواحد اسماء عديدة بدون ان تذكرها المعاجم . وحاصل ماجاء من اسماء النحام الفصيحة والمصحفة هي : النحام والنحاف والفرنوق والسرخاب والبشمور والبشروش والبشروس والبشاروش والبشاروس ولعل له اسماء اخرى لم نقف عليها واحسن هذه الاسماء كلها النحام لانها من اصل سامي اذ هو كذلك باللغة الارمية مع الالف الزائدة في الآخر وهو من مزايا لغتهم اي (نحاما) واما سائر الالفاظ فهي من اصل يوناني او فارسي او تركي ونحن في غنى عنها .

٥ النحام على ماوصفه علماء الافرنج العصريون

قال علماء الافرنج في تعريفه ووصفه : جنس من الطير يدنو من السواج بمنقاره ويشبه الشاهمرجات بساقه الطويلة ولهذا عزل عن كلتا الطائفتين وجعل في طائفة خاصة به هي فروع من طائفة الشاهمرجات او الخوائض اي الطويلات السوق . وهو صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب وفي حافتيه صفيحات تمي عرضيهما على حد مايرى ذلك في البط وهو معوج عند منتصفه واذا اراد ان يصطاد فريسته كالطحلبات والدود والهوام والحشرات وبيض السمك التي يراها على ارياف الغدران والمستنقعات بقلب رأسه بان يضع الفك الاعلى اسفل حتى يتمكن من ان يتصرف في منقاره . — وهو طير جماعات تعرف بالرقوف (جمع رقف) لكثرة افرادها ويتقوم من هيئتها مثلث على حد ماتفعل الكراكي . واذا حطت على الارض اصطفت صفين كالعسكر وعشها عبارة عن مدرة تركبها ركوباً عندالحضانة كما يركب الانسان الحصان ولها صوت كصوت النفير هو النحيم . ولحمها لذيذ ولاسيما لسانها . واليوم يرغب في هذه الطير لريشها وفي اصناف منها : البشروس اونحام الاقدمين (١) وبالفرنسوية Flammant des anciens وبلسان العلماء Phœnicopterus ruber وريشه كله وردي بديع اللون ما خلا الجناحين فانهما احمران ملتهبان ومثل لونهما لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم . — والنحام الاحمر او البهمن (1) F. rouge وبلسان العلماء Ph. bahamnais وهو كثير الوجود في اصقاع اميركة الجنوبية وهو اصغر قدّاً من النحام السابق ذكره ولونه ارقى واسمى . والنحام ذو الرداء الناري F. à Manteau de feu وبلسان العلماء Ph. ignicapillus ولونه احمر واضح وهو يوجد في انحاء بتاغونية ووتيس ايرس . — والنحام القزم F. pygmée وباللاتينية minor ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ما جانسه من هذا الطائر حجماً

---

(١) البشروس هو المسمى بالفرنسوية ماتعناه : نحام الاقدمين ، والنحام المشهور Bécharu, F. Commun وهذه هي المشهورة عندهم وقد اخذوها عن العرب الذين نقلوها عن الفرس . والافرنج لم يعرفوا الى اليوم اصل هذه الكلمة وقد مر بك انها محرفة من « بيش رو » اي المتقدم او الامام .

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والغياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما يفعل البط والوز تغط مناقيرها فيها لتقم على قوتها . واكثر ما نرى انها تجتمع جماعات من ٢٠ الى ٣٠ طائراً . وسيرها ثقيل ومرتبك واذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الاخرى الى الاولى او تحت بطنها وتخفي رأسها تحت جناحها واذ كانت كثيرة الحذر يقوم احدها ديدباناً اذا نام سائر الاخوة والاخوات او اذا ذهبت تسترزق . وهي تخاف الانسان اكثر مما تهاب الحيوان . ولهذا اذا اراد الصيادون قنصها اختفوا في جلد حصان او بقرة وذهبوا اليها . واذا اطلقوا عليها البندقية تراها تهدأ والسبب انها لا تروع من طلقاتها ولا من رؤية ما يموت منها ولهذا لا تبعد كثيراً عن مسقطها فيصاب منها كثير . هذا جل ما يقال عن النحام . وفي الختام اقرأك السلام .

بغداد انستاس

---

(1) البهمن نعت فارسي معناه الطويل اليد وهي الساق في الطيور . ولا ادري كيف سمي العلماء هذا النحام البهمن بنعت فارسي اللهم الا ان يكونوا قد اخذوه عن الشرقيين